



رغم أن لغتهم تعتمد بنسبة 80% على العربية الفرس يظهرون العرب بصورة سيئة في أدبياتهم

فُدر للعرب أن يكون الفرس جيرانهم الشرقيين، ولطالما كانت جيرة متوترة مليئة بالشك وعدم اليقين من قبل العرب في صدق نوايا الفرس، الذين رغبوا -دائمًا- في الانقضاض على العرب والاستيلاء على بلدانهم، وهو ما تحقق قبل الإسلام في العراق واليمن، وبحار الباحثون في نظرة الفرس للعالم بعيون عربية بينما الأولى والأقرب لهم أن يروها بعيون شرقية، حيث فضاءهم العرقي في أفغانستان والهند وأوزبكستان وجورجيا، لا سيّما أن الفرس الأكاسرة أقرب إلى تلك الأعراق منهم للعرب، ومع ذلك تنحصر أطماعهم في العراق والخليج العربي والأرض العربية كاملة.

يُنقل عن الأستاذ الإيراني بجامعة طهران صادق زيبا خلال مقابلتين أجراهما مع صحيفة "صبح آزادي" الإيرانية، عن نظرة الإيرانيين الفرس تجاه العرب قائلا: "نكره العرب وبسببهم نلعن أهل السنة.. ولا ننسى لهم القادسية". وفي إشارة إلى الأسباب التاريخية لكره العرب يقول صادق: "يبدو أننا كإيرانيين لم ننس بعد هزيمتنا التاريخية أمام العرب، ولم ننس القادسية بعد مرور 1400 عام عليها، فنُخفي في أعماقنا ضغينةً وحقدًا دفينين تجاه العرب، وكأنها نار تحت الرماد، تتحول إلى لهيب كلما سنحت لها الفرصة".

يتعالى الإيرانيون على العرب مظهرين احتقارهم لبدواتهم وعاداتهم وأسلوب حياتهم، لكنهم في حقيقة الأمر استلبوا العرب، ف 80% من كلمات اللغة الفارسية عربية الأصل، وانتشر الإسلام في فارس حتى غلب الزرادشتية المجوسية، بالرغم من محاولاتهم إبقاء طقوسها العرقية.

كانت هزيمة الفرس في معركة القادسية عام 15هـ (636م) حدثًا مدويًا في التاريخ، فالفرس لم يهزموا في معركة فحسب، بل انهارت سلطتهم ودولتهم وذابت هويتهم وهدم إيوانهم وقتل ملكهم، ومن ثم لم تكن معركة عسكرية فحسب، بل كانت سيطرة حضارة جديدة قادمة من أعماق الصحراء، حضارة مليئة بالأدبيات الإنسانية التي نشرها الإسلام، وفاقت هرطقات بلاد فارس، ولعل أكثر ما يفضح الكراهية التي يضمهرها كثيرٌ من الفرس للعرب، المتوارثة جيلًا بعد جيل هي أدبياتهم التي يحتفون بها وينثرونها شعزًا في كتبهم وتتناقلها أجيالهم.

لم تمض سوى سنوات قليلة على انتصار القادسية حتى سادت الثقافة العربية وفنونها وآدابها على الفكر الفارسي حتى عصر الدولة السامانية (346-450هـ)، حين انطلقت أولى الكتابات الشعبية التي بدأت بكتابة ملحمة "الشاهنامه" الشهيرة، التي تمثل عمود الثقافة الإيرانية ومعين قوميتها الفارسية، ومن نماذج الانتقاص والتحقير والأشعار العدائية ضد العرب التي دونها الفردوسي في ملحمة الأبيات التالية:

زشير شتر خور دن وسو سمار
عرب را بجاي رسیده است كار
كه تاج كيانرا كند آرزو
تفو باد بر جرخ كردون تفو

وتعني ترجمتها بالعربية:

من شرب لبن الإبل وأكل الضب
بلغ الأمر بالعرب مبلغاً أن
يطمحوا في تاج الملك
فتباً لك أيها الزمان وسحقاً

يكشف أحد المهتمين بالدراسات الإيرانية في مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية تلك العلاقة السائكة ورسوخها في العقلية الفارسية الإيرانية، التي تنتشر بوضوح في المناهج الدراسية معلنة عداءً سافرًا تجاه العرب قائلاً: "إن المتتبع لتاريخ العلاقات العربية - الفارسية يؤكد حقيقة متوافرة، وهي أن هذه العلاقات اتسمت بروح العداء الفارسي للعرب، والنزعة التوسعية على حساب أراضيهم وبلادهم، والرغبة الشديدة التي تصل إلى حد الهوس للسيطرة عليهم".

يؤكد ذلك موقف الأدباء في التراث الفارسي القديم؛ فالشاهنامه -ملحمة الفردوسي الشهيرة- تنتهي صفحاتها بقدوم العرب المسلمين والقضاء على الدولة الساسانية واحتلالها. وقد تم تصوير العرب فيها على أنهم أقل مدنيّة من الفرس. فها هو ذا (رستم) قائد الجيش الفارسي يرسل رسالة إلى سعد بن أبي وقاص (قائد الجيش العربي) يقول فيها: "جئت في عساكر حفاة عراة بلا ثقل ولا رحل ولا فيل ولا تخت، ثم بلغ الأمر من شريككم ألبان الإبل وأكلكم أضباب الفيعان التي تمنى أسيرة الملوك العجم أرياب التخوت والتيجان. فأقبل إلى خدمة حتى ترى من إذا تبسم وهب أثمان جميع رؤوس العرب، ولا ينقص كنزه شيئاً".

وعلى هذا الأساس وضع الفردوسي ملحمة التي تخلو من أي شاعرية وأسماها الشاهنامه (ملك الكتب) واضعاً جُهاً في شتم العرب وتحقيرهم، وتمجيد الفرس وملوكهم؛ وراح العنصريون الفرس يُحَقِّطُونَ أبناءهم و يغذونهم بهذه القصائد والأشعار العدائية.

وترى الباحثة والمؤلفة جوييا بلنديل سعد في كتابها "صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث" أن إظهار العربي في الأدب الإيراني دائماً ما تكون بصورة سيئة، واختارت نماذج لإثبات ذلك من خلال خمسة من الكتاب الإيرانيين، هم: محمد علي جمال زاد، وهو كاتب نثري وصاحب مقالات، وصادق هدايت الذي يعد من أشهر كتاب إيران في القرن العشرين، والقاص والروائي صادق جوباك، والشاعران مهدي أخوان سالييس ونادر نادريور. بالمقابل، اختارت ثلاثة من الكاتبات الفارسيات، وهن الشاعرة فروغ فرخ زاد، وطاهره سفرزاده، والقاصّة والروائية سيمين دانش فشار.

وتوصلت الباحثة إلى أنه: "يتبيّن من القصص والروايات أن الكتاب الإيرانيين رسموا صورة نمطية بائسة للعربي والإسلام، وألقوا باللائمة على العرب والدين الإسلامي تبعة تخلفهم عن ركب الحضارة، ويحمّلوهم مسؤوليّة تدمير الهوية الثقافية الإيرانية، ويرفضونهم بوصفهم غرباء ويعارضون القيم الثقافية الإيرانية الحقة. وترتكز رؤيتهم إلى ميثافيزيقا النموذج القومي الإيراني، التي تتحدث عن الأصل المشترك والتجانس اللغوي والعرقي، مقابل التركيز على الفروقات العرقية مع العرب".

أغلب الآثار الماثلة للتاريخ الفارسي في إيران من إرث العرب بعد "القادسية"

أكثر ما يفضح النقص الحضاري الفارسي، خلو بلادهم من أي إرث معماري حقيقي يعود إلى الحقبة الساسانية قبيل الإسلام، وكل ما نراه من أثر حضاري هو اندماج بين فنون العمارة العربية، وفنون عمارة أواسط آسيا، ولا يستطيع الإيرانيون المعاصرون إثبات أي بناء يعود لدولتهم الحلم الذي أنهاه المسلمون الأوائل في معركة القادسية، بالرغم من محاولات الإيرانيين المعاصرين إثبات سمو عرقهم وتعالبه على الثقافة العربية التي اقتاتوا عليها ولا يزالون أسرى لها.

(1) جوييا بلنديل، صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2007).

(2) حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001).

(3) عبد الوهاب عزام، الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012).

(4) نبيل العتوم، صورة العرب في الكتب المدرسية الإيرانية (عمّان: مركز أمية ودار عمار، 2015).